(٢)

# أوراق في النقد

## (الشعر والحياة)

راتب سكر:

## قصيدة «ملاءة الحرير»
## نهوض بالمعنى والدلالة

### • المدخل

الشاعر راتب سكر مسكون بحب الوطن.. عاشق للإنسان، فهو يمتلك رهافة حس عالية أهلته لكي يبدع قصيدة لها نكهتها الخاصة، وأعطته فسحةً ليعمل على صياغة شعر يعنى بالسماتِ الجوهرية، ويوغلُ في تأملِ المصير الإنساني، وينتظرُ الحلم الذي يسعى وراءه.

بين يدي قصيدة عنوانها «ملاءة الحرير»[1] سأحاول مقاربتها من خلال معطياتها:

### • معانٍ ودلالات

يلج الشاعر الحدث في القصيدة، وهو ينعم النظر في الزمان والمكان واللون معتمدًا الإيجاز لغة والإثارة أسلوبًا؛ ليفتح شهية القارئ على استنباط اعتمالات النفس وفضاءات الأفكار:

**مآذن من بياض شاهق**

**ممسحت جبيني**

**في عطافات المسير**

ويربط بين ذكرياته وحاضره للإنارة على القصدية التي هدف إليها فيوقد شموع الأمس، وهو يعيش حاضره، فأمه بملاءة الحرير تشكل

(١) ملاءة الحرير قصيدة وردت في مجموعة الشاعر الدكتور راتب سكر الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب عام (٢٠٠٠م) والتي عنونت بعنوان القصيدة.. هذا وقد نشرت القصيدة في المجموعة بين الصفحات ٢٢-٢٥.

بعدًا عاطفيًا، وتضفي جوًا رحبًا للحوار والحنان.. إنه الطفل الذي لا يمكن أن يمسح من ذاكرته ذكريات فياضة بالوفاء مهما تصحرت نفسه، لأن طهر الأم لا يعدله شيء، ولأن عطاءاتها فوق كل عذاب:

**أهذي أنت يا أمي؟**
**عرفتك من ملاءتك الحرير**
**مددتُ إلى الخوابي**
**طاسةً من فضةٍ**
**بللت يابستي وأحلامي**
**وأيقظت الطفولة في دمي**

وفي المقطع الثاني من القصيدة يتوجه نحو أبيه، ذلك العامل المتفاني الذي يصر على معرفة ما يدور حوله؛ ليلتذ بطعم الحياة:

**هذا أبي**
**بغبار مهنته يعابثني**
**ويسمع نشرة الأخبار**
**تفتته الأماني**

أما الشاعر فهو الطفل المدلل الذي يلهو بألعابه، ويخفيها في صندوق خاص بها يفترش الظلام الشاحب تحت السرير، لكنه مليء بالأسرار والألعاب..

وسرعان ما يعود الشاعر إلى حياته الواقعية، ليعكس مشاعره تجاه عذابات الحياة، وأحلامه المنداحة، والتي نال منها السفر والرحيل، فأطفأ بهاءها، وغلفها بقيد الشقاء والرحيل من مدينة إلى أخرى، ومن تفرقة إلى أشد منها فإذا الوطن الكبير يعاني والربيع مشتت الأدواح والأكام.

**شراعي ناحب في الريح**
**عذبه الفراق**

فباح للأمواج بالأسرار
تحمله مشردة تفاصيلي
إلى مدن
تناءت في قبائلها
لكل قبيلة علم
يرفرف في مضاربها

ولم يكن أمام الشاعر سوى البحث عن الأصحاب والأهل والخلان..

إنه نداء الوفاء بعد معاناة مستمرة ورحيل اضطراري من أجل الأفضل..

إلا أن ظلال الخوف تظل تسبغ هيمنتها على الشاعر فالمجهول لا يدرك سره أحد.. كيف يلملم الشاعر أمنياته والمصاعب شتى؟ ها هي بيروت تصر على ربطه بأهدابها، لكن هيهات أن يتحقق ذلك طالما لم يقرر الاستقرار بعد، فيكتفي بمنحها مشاعر الصدق والعشق:

في بحر بيروت التي أحببتها
قالت تعود إليَّ يومًا يا فتى
فأجبتها متلعثمًا بدموعها
والعتم يشرب من كلامي
نخبه الصافي الأخير

ويتابع الشاعر مسيرته في الحياة مهندسًا قناديله على نشيد المساء وأنين جوقة المعذبين، بينما الدروب تشرع اتجاهاتها له، فيمتطي عصا ترحاله راضيًا مذعنًا.. وتتداخل المشاعر، وتمتزج الرؤية بالماديات، وتتماهى الأزمنة والأمكنة بالماضوية والواقعية وبالمقابل يزداد السؤال، ويعمق الحوار.. هذا هو سرب الطيور يلوح من أجل تفاصيل باسمة.. ومن أجل حياة أفضل

كيف العبورُ إلى التفاصيل الجميلة؟

تفرشُ الضحكات
في مرج نضير
تلملمُ من دروبي حزنها
وتعيد أشرعتي مهللة
وحاوية على قلبي الكسير

لكن الإصرار من أجل المستقبل يظل قويًا، ولا يمكن لأي عائق صد نشيده، ولا يمكن للرياح إخفاء صوته، وكيف يحدث ذلك وملاءة الحرير تعدُ بالأمل والنقاء والخوابي مليئة بالعطاء والصناديق ماطرة بالخير.

فأين ملاءةُ الأم التي ضيعتها؟
أين الخوابي؟
نشرة الأخبار
ألعابي
وصندوقي الصغير؟

## • البنية الفنية

اتجه الشاعر في القصيدة (ملاءة الحرير) إلى ربط مشاعره الوجدانية الذاتية بمشاعره الوطنية والقومية محاولا أن يصوغ تداخلا وتشابكًا ينبئ عن خبرة عميقة في تناول الموضوع، فجسد القصيدة مطرزة بمشاعر الأنا والـ نحن، وقد يحار القارئ في تحديد موقف الشاعر: هل يتحدث في هذه القصيدة عن عطاءات أمه وكدح أبيه؟ أو عن سيرته الذاتية؟ أو عن وطنه وأمته؟.. هذه التداخلات أضفت على القصيدة جمالا خاصًا كون القارئ يظل دائم البحث عن مفاتيح القصيدة، وعما يهدف إليه الشاعر.

صحيح أن قصيدة ملاءة الحرير فيها دلالة أنثوية واضحة، فهي ترمز إلى الأم، وتشيع أكثر من وازع وأكثر من معنى، وتحوم في ميادين متعددة ومتنوعة.

إن انطلاق الشاعر من البساطة يعني أنه يصر على الجماهيرية، كما يصر على البقاء في فلك الشفافية دون تفريط في الفن والإبداع.

**شراعي ناحبٌ في الريح**

**عذبه الفراق**

**فباح للأمواج بالأسرار**

**تحمله مشردة تفاصيلي**

فالشاعر مسكون بنبش إنسانية الإنسان، وعاشق للإخلاص، ولهذا يجدُّ في أن يراكم الدلالة عبر اللغة، ويطلق الأفكار عبر مداراته الشعرية، ليضوع هاجسه المصيري، ويبرز انحيازه الواضح للحلم.

اللافت في هذه القصيدة قدرتها على التأثير بسبب إخلاص الشاعر لإبداعه وامتلاكه فنيات متعددة ومتنوعة تتوضع في ثنايا القصيدة، وبواباتها المشرعة على الديناميكية والحياة. فضلا عن توازناتها بين العالمين الخارجي والداخلي، وبين طموح الشاعر الشخصي وطموح المجتمع دون الفرق في فضاءات الوهم التي يجافيها أمل الشاعر رغم كل الشتات، ورغم التساؤلات التي حيرت الشاعر، ولم يجد لها جوابًا

**إلى مدن**

**تناءت في قبائلها**

**لكل قبيلة علم**

**يرفرف في مضاربها**

ويتألق التعبير الشعري بأسلوب شفيف من خلال المنولوج والبحث عن الذات ومعايشة الواقع جسديًا ونفسيًا

**نشيدي مسرف**

**بعتابه العالي**

**فأين ملاءةُ الأم التي ضيعتها؟**

**أين الخوابي**

**نشرة الأخبار**

**العابي**

**وصندوقي الصغير؟**

إن العناق الحميمي بين ما هو قائم وبين ما حدث أغنى عالم القصيدة وأضفى عليها حداء إنسانيًا متألقًا.

أما عن الصورة الشعرية فهي تمتد رأسيًا، وتتجه نحو العمق بسلاسة وعذوبة لترسخ سحرها تقصيات لدوافع إنسانية وخصوبات عامرة بأحاسيس ملتهبة صادقة شكلت مملكتها وصاغت دلالاتها لوعة النفس وشجى الروح وإيقاعات هادئة ورؤى دفينة في مفاصل اللغة وأجنحة الصور البلاغية الضافية والمبتكرة:

**قناديلي**

**ترتل للمساء نشيدها**

**بأنين جوقتها**

**تمدّ له الدروب**

**فينحني بوداعة فيها**

**ويطبع قبلة من ظلمة حيرى**

**على يدها**

**يرن سوارها**

**والنور فيها سيد**

**يحنو على الضيف الأمير**

إن ترشيح الأفعال المضارعة لكي تنغرس في جسد القصيدة أضفى دلالات على إمكانات العطاء والطاقات المستمرة الفاعلة في مهمة العيش والحياة: (تلملم ـ تعيد ـ أحث ـ تلهو ـ تفرش ـ يحنو ـ يرن ـ يطبع... إلخ).

وإن اعتماد الأسلوب الاستفهامي والتعجبي يمثل الدهشة والبحث عن المأمول

كقوله: **أهذي أنت يا أمي؟**

وقوله: **عرفتك من ملاءتك الحرير!**

وقوله: **كيف العبور إلى التفاصيل الجميلة؟**

ويحقق المنادى (أصيحابي) صرخة شاعر يثق بمجتمعه وشعبه، وكأنه يقول: معًا في تجاوز المحن وتحقيق الأماني.

أما الحوار الشعري، فهو حوار النفس للنفس، وحوار النفس للأهل والأصدقاء والحياة.. وتبقى قصيدة ملاءة الحرير للشاعر الدكتور راتب سكر نموذجًا حيًا لشاعريته وشعره فهو يحرق المسافات من أجل أن يتسنم مكانة لائقة في ميادين الإبداع الشعري، ولا بد أن ترتقي هذه المكانة باستمرار كونه ينطلق من بؤر حارة، ويبتعد عن حالات العجز التي تدور في فلك المباشرة والشعاراتية وآليات التطفل التي تفيض بنور التفوق وقدرات الإبداع.

## هـالا محمـد:

## ليس للـروح ذاكرة

هالا محمد صوت شعري له مذاق خاص، ونكهة متفردة وإذا كانت الشاعرة هالا قد أصدرت ديوانًا شعريًا واحدًا ـ ليس للروح ذاكرة ـ عن وزارة الثقافة بدمشق عام ١٩٩٤ فإن هذا الديوان كفيل بأن يعطي صورة جلية عن الشاعرة التي تلاحق الحلم الأخضر.. هذا الحلم الذي تجسد في الروح وترعرع في الذاكرة واستوى غرسًا لكن هيهات هيهات أن يجد الغرس مناخات سعادته دون أن يأخذ حقه في كل الفصول والمواسم من أجل ذلك بقيت الروح لائبة في الحيرة والقلق تحت هجير الضياع وعذابات النفس:

«خائفة
حيث لا أثر لي
أرجوك ناولني
بعض الأشياء المبعثرة بقربك
ـ فقط لأبعثرها بقربي»

إن الآتي أصعب من الحاضر.. وما مضى يدعو إلى الحيرة فكيف تكون المواجهة مع المستقبل؟ وما الذي يحمل في جعبته بعد أن غدت آلة التصوير بدل العين والقلب المعبر الوحيد لرؤية الحياة.. الحياة التي فعلت وما تزال تفعل الكثير:

«من نافذتي الصغيرة
المطلة على الدنيا
ألقيت بنظري

فدقت علي الدنيا الباب
وأعادته إلي»

لقد تمثلت الشاعرة مكابدات الإنسان وعرفت أن البسيطة مفعمة بمن يحلمون بالحرية والحياة الكريمة.. ولهذا انطلقت لتعبر من الداخل عن إنسانيتها، ولم لا وإنسانيتها نموذج حي للتعبير عن الذين ما زالوا يصرون على إنسانيتهم بالرغم من كل ما يحيط بهم:

«خرست في لحظة
لأكتم ألمي
فخرست للأبد»

إن هذه المشاعر آنية لأنها تولد من جديد من أجل حياة أفضل ولذلك تقف الشاعرة متحدية صلبة تخاطب الريح واليابسة والنور والبطولة والموسيقا.. إلخ من أجل غد مزهر وحياة مطمئنة:

«أيتها الريح
متى ستهزين النخلة؟
إني حبلى
أسند رأسي
صرة مملوءة بالأحزان
يا أيتها الريح هزيها»

وإذا كانت مسحة الحزن تغلف شعر هالا، إلا أن هذا الحزن يتواصل مع شلال مطر يكسر إيقاع الألم لأن عيون البطلة تهرول باتجاه الشمس وتسدل ألق نبضها على الحلم غير عابئة بالعراقيل والضغوط التي تنال من إنسانيتها

«قبل عشرين عامًا
قلت لي
أحب ضوء القمر

ومنذ عشرين عامًا
وأنا أسهر على النافذة
لوحدي»

أما عن الظروف فقد عاندتها مرات ومرات ولهذا تحار في الأسلوب الذي يجعلها أقوى مما يحدث.. تستسلم تارة وتعاند تارة وتثور غاضبة راقصة أحيانًا كثيرة..

«فجأة وجدت نفسي
ظلا لظل في الظل
كنت عارية»

إن هذه الومضة وغيرها من الومضات التي ملأت الديوان تشير إلى تنهدات الشاعرة وزفيرها المتصاعد جراء كل الصدمات المتلاحقة، لكأن الومضة إشارة، بل لنقل دلالة على ترتيلة الحزن والألم أو تعبير عن البوح الإنساني الذي يتمثل أكثر ما يتمثل في المواقف الصعبة وفصول الحياة.. إن التكثيف العاطفي في البداية والصدمة التي تركز عليها في فاتحة القصيدة لإثارة انتباه القارئ حقق الغاية في إيصال صوت الشاعرة..

«حين خبا نجمي
وضعت مرآتي العاكسة أمامي
ورحت أبحث فيها
عن نجم شبابي»

وإذا كانت الأرض مأوى الإنسان ومكان حركته فإن السماء هي الأمل والموقع الأبدي له... الشاعرة تكرس هذه المقولة في شعرها تعبيرًا عن اللوبان وحب الخلاص وأي خلاص هذا وحبها نبت بين الصفصاف والزيزفون!... وما يزال القلب ينزف من أجله... هل صار سرابًا؟.. إن كان الأمر كذلك فهذا يعني أن الأرض غدت أبعد من القمر إنها الأرض

التي تجمع فحيح النفس مع زهر البنفسج والياسمين وورق الليمون والأكاسيا .. إلخ، وهل من حل سوى إلغاء المسافات وتجاوزها؟!

**«القمر عينه التي ترنوها**
**النجمة وردة يلوح لها بها**
**في لياليه ولياليها**
**المطر خفق قلبه**
**ما أبعدها الأرض!»**

لقد اعتمدت الشاعرة في طرح أدواتها الفنية الحسية والمعنوية على البصر والبصيرة ومزجت بينهما مزج فنانة تشكيلية لا تريد من خلالها رسم لوحة طبيعية أو سريالية.. إلخ، إن لوحتها من نوع آخر لم يرسمها أحد قبلها، ولا تريد لألوانها أن تعكس إلا ما خفي في سويداء القلب، وما سرى في العروق:

**«يا ميلادي المتكرر ببلاده**
**قف في العام القادم**
**ولن يتغير شيء**
**ربما كانت مناسبة**
**لجمع بضع زهرات**
**وتزيين الأرض بها»**

ثمة هاجس تلح الشاعرة عليه أثناء الكتابة وهو هاجس يتصف بالديمومة والاستمرار ولهذا لا تخلو قصيدة من التركيز عليه... إنه العشق الإنساني والاغتسال بطهر القلب وتلوين المسام بخيوط قوس قزح... ولئن كانت هذه الفكرة منسربة في غالب قصائد ديوان الشاعرة فإن ما يجب أن يقال: إن ما تقدم أضفى الشكل المناسب لها وأعطى مبناها صفات خاصة لها حيويتها وتأثيرها..

فهي لا تريد أن تسهب في صياغة قصيدة تصبح ديوانًا أو تكون

ملحمة أو تمتد على مساحات صفحات متعددة.. إنها الشاعرة التي تهتم باللقطة والإضاءة من خلال صور مجازية بليغة وموشاة بخيال طافح بالندى والدفء.. وهذا لا يعني أن العواطف هي محور القيمة الفنية في صياغة القصيدة إنما هاجس الفكرة أولا ثم تنظيم العواطف التي دفعت الفكرة إلى الظهور هو الأساس ولهذا نجدها تحول الأنا إلى النحن لأن الألم الخاص هو جزء لا يتجزأ من الألم العام:

**«أقوم بجولة**
**على نفقة الزمن**
**يتكفل فيها بتقديم**
**الفجر**
**النهار**
**والليل**
**حتى إنه أهداني طفلا**
**ويطالبني لقاء ذلك**
**بأن أحيا»**

هذا وإن الموضوعية في العلاقة بين الشكل والمضمون أبرزت الشاعرية المرهفة التي تعتمد أكثر ما تعتمد على الفطرة والتدفق مما أتاح للفظة أن تكون منسابة طرية هينة ولعل الإيقاع هو الذي تحمل انكسارات الرؤية وقلق النفس وضجرها الذي يعصف بكل ما حولها حينًا ويدخل في مسارات الحكمة وفلسفة الحياة حينًا آخر:

**«حين صاح الزمن بي**
**مهلا**
**توقفت طائعة**
**دون أدنى شك بنواياه**
**مر بي**

تجاوزني دون انتباه
فامتطيت موجة الضوء
لأعوض الزمن الذي فاتني»

ولم يكن التلاعب اللفظي والتبديل وإعادة الصياغة إلا من قبيل ولوج محراب الحداثة وتكريس فكرة ما والدوران حول بؤرة مركزية تريد الشاعرة التعبير عنها بطريقة غير مباشرة.. ففي قصيدة ـ بعض التجديد ـ تلميح عن الضياع الذي جنته الشاعرة من التجديد وشحنات قوية من فلسفة حياتية تعبر عن موقف ما:

«كنت قد اتخذت قرارًا
بإجراء بعض التجديد في حياتي
لا...
بل بإجراء بعض التجديد في حياتي»

ولعل استخدام الأفعال المضارعة وتكرار الألفاظ خير دليل على الأمل الذي رغم ضياعه ما زال يبرعم في الأوردة ويؤكد ذلك الديناميكية اللفظية التي تغلبت على روتين الصمت لكنها لم تكن دائمًا خطوة إلى الأمام بسبب تغلب الفكرة على الشاعرية:

«أشم/ أتألم/ أدفأ/ أقلق/ أحتار/ أندهش/ أهمس/
أسترق/ أخجل/ أتأمل/ أحلم/ أضعف/ أجرؤ ولا أجرؤ..
فأموت/ أنا من ضيع في الأوهام عمره».

إن الأسلوب القصصي الذي استخدمته في ومضاتها أضفى على القصيدة جمالا ورونقًا:

«كان البرد قارسًا
فخبأني
تحت جناح معطفه
وحين وصلنا

**رفع طرف معطفه**

**فلم يجدني»**

والذي لا ريب فيه هو أن الشاعرة تتميز بحس رهيف ومشاعر لها مذاق النسيم العليل وهذا ما جعل أكثر قصائد الديوان مؤثرة لكن قسمًا منها فقد هذا التأثير بسبب الإغراق في النثرية:

**«مد يده الصغيرة جدًا**

**المؤلفة من خمس أصابع**

**فرد يده الصغيرة**

**بأصابعها الخمس**

**ممتطيًا**

**فلامس روحي»**

يبقى الديوان جديرًا بالقراءة وتبقى هالا صوتًا شعريًا له حضوره..

## غسان لافي طعمة

# فاتحة يوسف العربي
# فاتحة إنسان الحاضر والمستقبل

من البداهة القول إن مفاتيح النص الشعري لا يمتلكها إلا القلة القليلة من النقاد، والقادرين على تحليل هذا الفن ـ السهل الممتنع ـ من جوانب متعددة..

وبناء على ذلك فإن الادعاء بالوصول إلى هذه الصفات يبقى سرابًا باستثناء النادر على خريطة الوطن العربي.. لأن جل ما يقدم ما هو إلا مقاربة للنص أو دغدغة لبعض مفاتيحه..

إن مقاربتي هذه تهدف الإنارة وإلقاء الضوء على تجربة الشاعر غسان لافي طعمة ومحاولة ولوج محراب نصه الشعري.

يعنون الشاعر ديوانه الشعري الصادر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق باسم «فاتحة يوسف العربي» ـ وهو عنوان إحدى قصائد الديوان ـ التي تعد ثماني عشرة قصيدة تناقش في مجملها الهم الوطني والإنساني والقومي بأسلوب موح بالشاعرية والتوجه الواعي ففي قصيدة «من أين يبتدئ النهار » يشدد على كبرياء النفس، ويدعو إلى امتلاك القدرة على الحياة الحرة الموسومة بالعشق بعد أن زحفت مواسم الجفاف لتحمَّ الأمل، وتَدفِق النضرة:

**(لا تحنِ رأسك**
**رحبة هذي الجهات**
**ونعسفنا العشقي مرتحل**
**من الجذر الخصيب**

فكيف يحترق النبات؟!

هي المواسم تستفيق من الجفاف) (ص١٣).

.. إن غسان يهتم بحركة النص الشعري وسبل تحرره معتمدًا في ذلك على مصادر متعددة (اللغة/ الخيال/ التخييل/ العاطفة/ الصدق/ الاحتراق/ الدفء/ الواقع/ الإنسان/ الدلالة/ الحياة... إلخ) من ذلك كله ينطلق ليرسم تضاريس قصيدته وألقها وابتعاثاتها.. إنه يحترق بالحرف، ويتماهى بالقصيدة وفضاءاتها التي تتأسس مجبولة بمعاناته، وبشقاواته، ورؤيته التي لا تفتأ تبحث عن نور فتي، أو نافذة مشرقة يعتلي صهوة شمسها من أجل تمزيق دياجير تتفر إلى الذاكرة فتؤلم، وتنبئ بما سيحدث:

(من أين تكتبني القصيدة؟!

أسلمتني عورة الأيام للقفل المفرغر

بالنهارات المضاءة

كان حلمي بيدرًا من قمح قلبي) (ص٢٠).

وهو فضلا عن ذلك يركز على السياق، ويحكك فيه كثيرًا ليخلصه - قدر الإمكان - من المرجعية، ويدفعه نحو التجدد والتميز.. صحيح أن السياق كما يقول ياكوبسون: «هو الطاقة المرجعية التي يجري القول فوقها» إلا أن هذه المرجعية تختلف من شاعر إلى آخر؛ ولهذا فإن الاهتمام بالسياق إبداع لنص جديد يمتلك لغته الخاصة.. وإذا كان الحاضر مفعمًا بشظايا الألم من الضعف والتردي التي تغلف جملته الشعرية بمفازات القلق الرابض في جراحات الشقاء وحتى في مشاعر الفرح تغدو وتروح كديمة عابرة:

(من أين تكتبني القصيدة؟!

جرجرتني عورة الأيام

للزمن الهلامي الهزيل

فأنا السعير يحاول اللهب
المغلغل في الفتيل
من أين تكتبني القصيدة؟!
من رغيف لم تلامسه جراح السنبلة
من قاع سجن ينفث الموت المؤجل
في ضمير المقصلة) (ص٢١ ـ ٢٢).

إن قصيدته تستمد وجودها من الشعر وقوة الكلمة، وفعاليتها بحيث تتوضح صورتها الجميلة من حركية ودلالة الحرف والمفردة والجملة والفكرة.. فهي مفعمة بالحيوية، موشاة بطاقات داخلية خلاقة وهي تتبع من معاناته ووعيه لما يدور حوله، ولذلك لا يكون تفاؤله في النص الشعري مجانيًا، أو فنتازيًا.. إنه الحقيقة التي لا تبرز إلا بالقول والعمل، واخضرار النفس في صباح الحياة بالرغم من اللهيب المتمكن في الأرض:

(لمن نلهب الراحتين
كفٌ بقطوان شلت
وكف ببغداد طلت
وكفٌ بلبنان تلظى) (ص٣١)
(ولا تبكي على موتي
ففي محراب صمت الليل
تتلى سورة الفجر) (ص٤٨).

وما دامت حنايا القصيدة ومفاصلها لا تتفتق بوادرها بالمجافاة، فإن العمل على ملامسة ثناياها، وتقري جمالاتها وصباها لا يتحقق إلا عبر مسارب الذهن الذي يفسر ويحلل ويتوغل في مفازات الوجد والوجدان..

لقد اتصف شعر غسان بمؤهلات وافية لكي يشدك إليه وبطاقات تخييلية تؤثر في مشاعرك، ويأخذ بيدك نحو الحلم الذي يتضمن فاتحة

عهد جديد بعد أن صارت الدروب بوارًا، وانتضى الضياع سواد التراجع والألم، وغدا اللهاث وراء الشعاع متعبًا:

**(إلى أين تلهث؟**
**كل الدروب بوار بوار**
**إلى أين تلهث؟**
**تحمل كابوس هذي الليالي**
**وتزعم أن النهار نهار**
**تقيأ ظلال القوافي**
**فقد أثخنوك بسيف الحصار**
**هو الحلم سكين هذا الزمان الرديء)** (ص٥١).

لقد أزفت ساعة الاحتفال بعرس الرجولة، وأي حفل هذا؟! وكيف يمكن أن يكون إذا لم تجار النفس، وتلوح لكل ما يخدم الأهل والوطن والأمة؟ وكيف يمكن أن يكون وأطفال الحجارة ما زالوا يخترقون وهج المنون؟

**(لا وقت للفرح المهجّن**
**والعدو على شغاف القلب عسكر**
**لا وقت للضحك المزيف**
**والحلوق تعلقمت بالحنظل البشري**
**في زمن معكر)** (ص٧٤).

فالشاعر لا يحرق المراحل من أجل أن يصل إلى هدفه في نهاية القصيدة بل يركز على مفاصلها، ويرسم ثناياها بريشة مبدع يعشق الإمعان في فنون الحوار والقص والتدوير دون انزياح لفن دون آخر ودون أن يقطع علاقته بالواقع المحرض.. إنه يعيش من أجل الحرف وينخرط في لج الحياة فاعلا ومنفعلا:

**(ما زلت تبحث عن زمانك**

خارج الزمن المعفر بالعياء
ما زلت تسرج صهوة الأحلام
كي تعدو، ويتسع الفضاء
وتهدهد الغافين في أرجوحة الوطن المضيَّع
في الثراء)  (ص٩٧).

تتدرج المعاني الإنسانية في جسد القصيدة، وترفض الجملة الشعرية إلا أن تكون حديثة البنية والتكوين لتشيع تأثيرًا وموقفًا وتلتحم مع الذات الشاعرة داخلا وخارجًا..

وإن كان الزمن الحاضر زمن المآسي ويحتاج إلى كثير من الصبر والتصبر فإن رسم بعض الصور المؤلمة يهدف إلى تكريس دلالات ومعان:

(هم يرقصون على الجراح ليرسموا
من نزفها وردًا
لزفة من تاله في الجراح
هم يهزجون لقيحهم
فإذا الأهازيج البتولة
فوق عهر شفاههم
نغم أجاج)  (ص٩٨).

إن كينونة شعر غسان تصحو فوق جماليات انطبعت في ذاكرته التي مارست التفاعل مع الطبيعة البكر منذ ريعان صباه، ثم تنطلق لتشكل خارطته الشعرية دون تضاريس أو إهمال للاستشراف الفاعل لديه بكل مناحي الحياة..

ويصدر الشاعر آهات غاضبة ليعبر عما ينتاب الوطن من ظروف قاسية تقف في طريق انطلاقته:

(آه علينا.. كم نموت من النشيج
وكم سيبعثنا النشيج!

آه علينا .. كم يضيعنا الظلام
وكم نضيعه الصباح!
آه علينا .. كم سنزهو كالنجوم
وكم سنطفأ كالسراج) (ص٩٩).

والسؤال الذي يزداد تجذرًا: هل يضيع المصباح؟ هل يطفأ فتيل حياة هذه الأمة الصامدة الناهضة بفضل رجالها وشهدائها وعطاءاتها:

(ما زلت تبحث في دمي
ما زلت أبحث في دمك
وأساك نبض تألمي
وأساي فيض تألمك
فاقرأ مراثي أمعنا
في مأتمي أو مأتمك
طوبى لنا
إنّا مسخنا فجرنا
إنا نمجنا حلمنا
فالخير كل الخير أن نمشي على نصل الفجيعة حالمين
والخير كل الخير في الحلم الرزين) (ص١٠٦).

ولم يغفل الشاعر نزوعه الإنساني كلما سنحت له الفرصة للتعبير عنه، لأن إيمانه العميق بأن المبدع قبل كل شيء لا تشوبه شائبة، ولا يمكن أن تلوثه ماديات وأحقاد العالم:

(تتقيئين شغاف قلبي
مذ وعيتك توقدين النجم في مصباح كاز
كاد يخذله الفتيل
وتؤرخين النبض قافية لعمر
ليس تبدؤه الولادة

ليس ينهيه الرحيل) (ص ١٠٩).

وهو يؤكد موقفه الإنساني عندما يعايشهم في آلامهم وآمالهم:

(نكسوا راية القمر
واركزوا راية الرغيف
ليس فينا من البشر
غير صبر على النزيف) (ص١١٥).

وباعتبار أن ذاكرة الحاضر مؤسية فإن ربط الماضي بالحاضر له مسوغاته للعبرة وتجاوز النتوءات من وهم وزيف وخداع من أجل حياة جد جديدة:

(أين كنتم يوم ماج النهر حبرًا ودماء
وأنا التاريخ مصلوبًا على أشجار بابل) (ص١١٦).

(كان صبي يتنامى
شعلة حمراء في صمت الدجنة
يوم جاء الغرباء
اقسمت أمي بآلاف الأجنة
إن للفجر إشارة) (ص١١٦).

إن التدقيق فيما سبق من شواهد يبرز مدى اهتمام الشاعر بامتدادات الحرف وتأثير اللفظة ودلالة الجملة الشعرية، كما يبرز اهتمامه بعنوان القصيدة للترميز والإثارة:

(فاتحة يوسف العربي ـ صباحات العطور ـ مرثية لفارس الوهم ـ نسغ الحياة ـ شاعر ووطن وحلم ـ تساؤلات في الزمن الضيق)

وما أظن أنني وفيت الديوان حقه فما يحتويه يشجع لأكثر من دراسة وأكثر من مقاربة.

## غالية خوجة

# نشور الأزرق
# جهد واضح في بنية النص..
# وإبداع في آليات نسيج القصيدة

تعد غالية خوجة من الشاعرات المجودات اللواتي استغرقتهن الحداثة واستغرقن بها، بحيث يحس القارئ في قصيدة غالية جزءًا، بل أجزاء من مشاعرها وتوقها وطموحاتها..

وإذا كانت الرؤى تتعانق في مسام قصيدتها، وتتمرد النفس على الساكن والتقليدي والمتخاذل في جملتها الشعرية، فإن ذلك يزيد القصيدة بهاء، خاصة وأنها انطلقت من بؤرة مركزية تتضمن العقل والشعور باتجاه الأنا والنحن وباتجاه الحب، وباتجاه الوطن..

ضمن هذا التأسيس الذي فرضه الوعي العقلاني، واللاوعي المبني على العاطفة والحس والمعاناة والمشاعر التي تتماهى الشاعرة خلفها لإنتاج قصيدتها فلذة كبدها، ومحطة من محطات مشاعرها.

فالشاعرة غالية يسكنها حلم أخضر وطموح يسع دنياها، وهي لا تتوقف عند الذات من أجل الذات، وإنما تفعل ذلك لترتكز على شاهد عيان يكون مثالا من أجل الـ نحن.. المجتمع الذي هي منه:

**غطى الصخور بنظرة**
**وأضاء خضرتها لنا..**
**هل ما تبرعم في الشظايا**
**يجتلي**
**سر انتحارات البنفسج**

في الدخان (ص١٢).

إن انطلاق الشاعرة من الواقع المعاش يدفع إلى الالتصاق بالمكان والتمحور في دائرة الزمان، ولئن كانت فصول الواقع متغيرة: فإن شاعرية غالية تبدأ من دفء المكان وربيع الزمان.. وهذا التوجه جعل صدق القصيدة مقنعًا وفتح المجال لفوزها بالحياة:

ذات فضاء
عادت ذاكرة
حاكمها الشهداء
كانت كالأرض تدور
وكان هواء
يجبر ما فيها
أن ينكسر على العتمة
كانت أمواج
تحرق ما فيها
من ريش لتطير
وكنت.. أنا
أتجول في الديجور
ونوري (ص١٦).

ويعلو الموقف الوطني، ويتجذر الموقف القومي فيبدو انحياز الشاعرة نحو الفداء والمواجهة والدعوة إلى الانتصار والحلم بحياة مليئة بالاعتزاز هدفًا أعلى في منظور قصيدة وإبداع الشاعرة:

كم يرى
في مفازاته الانفجار الذي ينبت الموت،
أسطورة للحجر
كم يرى دمه

في ظلام الوطن
رقصة الحب
للصّاهلات
التي تنتصر (ص١٩)

إن الشاعرة لا تبني حلمها على الرمال ولا تقطف الاخضرار من اليباس، لأن كنوز وتاريخ هذه الأمة مفعم بالشواهد والأمثلة على النهوض من كبوات البؤس والشقاء والتراجع وفوق هذا وذاك، فهي تؤمن بأن فسحة الحياة واسعة وأن الخطوات الجميلة آتية لا مناص:

مذ تراءت عذارى النجوم له
ورأى ظله، طالعًا من كتاب الفناء
تعبث النار، بالمسك من حوله
يعبث العنفوان بإدهاشه
هل رمى
نيزك الروح خلف القصيدة؟
أم أنه، كان وهجًا
غزيرًا لجذر السماء؟ (ص٢٢)

وإذا كان لا بد من موقف؛ فإن الجهر بعداء من أذلوا أنفسهم، واستمرءوا الاستسلام، أو خضعوا أمام الذود عن حياض الوطن يغدو عند غالية ضرورة لازبة وموقفًا لا نكوص فيه:

قل .. لمن،
لا الشهادة،
لا عودة الأرض،
ينتظرون بأنا سنمحو من التيه،
عاهاته في الجهات
وأن نغيرّ الكفن وحده حبرٌ من يكتبون على

قبة الروح

عاش الوطن (ص٢٥)

وهي لا تني تؤكد على الوفاء والصدق، وتكره المكياڤيلية بحثًا عن انطلاقة تعتمد القوة نقطة ارتكاز مثلى، وتربط بين الماضي والحاضر من أجل المستقبل، وهذا لا يتأتى إلا من خلال وعي اللحظة والتدرع بالإيمان الكلي بالموقف:

لهمومي.. ملحمة

هل أتكئ الآن عليها

أنت منحت الحربَ الماء

وأنت فتحت الحربَ على قتلاها

من قال بأني

ألقفت زهورك نسغَ الموت (ص٤٢)

وليست العواصف إلا غيمًا زائلا فالريح أوغلت بالقوة، وتمادت بالغيِّ والظلام فهي راحلة، ولا بد أن يتحرر اللون، ويُغِذَّ السير باتجاه الحلم:

إني ما بين شواظ الماء

وبين صرير النار

أخرر لوني

برقاء غيابي (ص٤٩)

ولقد اعتنقت الشاعرة فلسفة الحب؛ لأن الحب بدء الحياة ونهايتها.. إنه قوة العمل والفعل والتأثير، ولهذا فإن الربيع ينتظر الحب؛ ليثمر، والجرح الناغر يهفو للحب؛ ليبرأ:

يباشر نبع الحياة زغاريده في قوامي

أحبك

لا تلسع الدم من بوحه المتأخر (ص٥١)

السنابل الوضاءة تتكاثر عليها النبال، وتسعى العواصف إلى النيل من

قامتها.. لكن هيهات! هيهات! ذلك لأن الجذور تتربص بمن يريد النيل منها:

**يرقص الموت طويلا**
**جملة العطر تغني**
**غربة الخيل تغني**
**وتجوب الروح**
**أصقاع اشتعالي** (ص٦٢)

وتغدو معرفة استراتيجية فكرة الشاعرة أمرًا بدهيًا عندما تهب الشاعرة اسمها للشعر وأن تكون مزنة الخير من أجل خضرة الحياة، وأن تبحث عن اللون، وأن.. وأن:

**أنا مزنة الرمز**
**برقي نذير**
**وللبيلسان سلاف**
**يذيع انتشاري**
**نبات نشيدي يؤرجُ بعد الجنون**
**ويتلو بيان معاري** (ص٦٥)

ويضفي موقفها من الرجل الشجاع الحلم، الذي يطرز حياته بالحرية، ويزركش رؤاه بالصدق والطهر.. ملامح من ذاتها وسمات دامغة من توجهاتها:

**وكان نبيًا جوالا**
**بالفتنة والشبهات الأولى للفجر**
**وحرًا كالإشراق**
**جميلا كالفردوس**
**حزينًا كالصدق** (ص٨٠ـ٨١)

ولئن امتدت الغربة إلى عرين الشاعرة؛ فإنها لن تطول.. إنها غربة

النفس مع النفس بلورتها الأزمات وعمقتها المفازات، وليس وراء الأزمة سوى انفراج وشروق ، وليس خلف المفازات سوى الربيع الندي.. إنها الثقة بالأمة والاقتناع بالنهوض ونشور الأزرق:

**برحيق قصيدته كان يعانقني**
**يتخطى ما ازلزل في أغمضنا**
**هل كان الأغرق**
**في جرح النار**
**وفي غربتنا** (ص٨٨)

إن مجموعة نشور الأزرق تلهب النفس بمشاعر التأييد للمشروعات العربية النهضوية، وتتدي الوجدان بنبض الكلمة الحي.. ولقد قدمت كلمة الأزرق في المجموعة دلالات لها أثرها في اللاوعي بدءًا من العنوان إلى قول الشاعرة «اجترح أزرقي» (ص٢٠)، أو قولها:

«هو الأزرق البكر» (ص٢٥)، أو قولها: «أحلف إن الجسد الأزرق» (ص٣٨)، أو قولها: (يتصالب الأزرق)، أو قولها: «أبعث الأزرق» (ص٧٤)، أو قولها: «رعشة الحرية الزرقاء» (ص٩٤)... فالأزرق هو الحلم والأمل والأنثى والرجل.. هو التفاؤل والاستقرار والفرح... إلخ.

ولعل اهتمام الشاعرة غالية خوجة بالإيقاع واللغة الاشتقاقية، والصورة الضافية الجديدة، وتراسل الحواس.. كل ذلك ساهم في تجديد القصيدة وعَبَّد الاتجاه للاقتناع والتأكيد بقدرة الشاعرة على العطاء

**شهوة للمخاض المغاير كان**
**وأنشودة.. لجنوح الشجر**
**كلما.. مسني أخضري واختفى**
**فاض بي.. رعده وانتشر** (ص٢٨)

ومن اللغة الاشتقاقية:

**كم جمدتُ الشمس**

**وجاسدت قصيدتها**

**في الحلم** (ص٤١)

وغير ذلك كثير كثير

ومن تراسل الحواس:

**تطرز حقلا للمعنى**

**وتهوجس مشكاتي**

**كانت لغة الجثث تسير إلى قاتلها** (ص٤٠)

أخيرًا: إن آليات إبداع غالية خوجة تقابل وتوازي آليات التلقي نظرًا لحرصها على التواصل من خلال الجملة الشعرية ودفء الكلمة وصدق التوجه وعمق الفكرة.. كل ذلك ـ باعتقادي ـ يتيح فرصة كبيرة للقارئ كي يتفاعل مع هذا الشعر الذي تستقطبه معاناة عميقة وتستفزه استراتيجيات فكرية يؤمن بها الإنسان العربي الذي يسعى نحو النهوض والتقدم في إطار مشروع نهضوي يشمل كل الاتجاهات والتوجهات وفي جميع المجالات.

لقد ركزت غالية خوجة على بنية النص واشتغلت عليها من منظور الوعي والإبداع معًا من خلال طرائق مخصوصة تلتصق بالشاعرة نفسها واستجلاء بؤر مركزية تهم القارئ العربي وخيال مجنح يفكك جماليات المكان ويربط ذلك بالزمان الآتي والمستقبلي.

## جعفر الجمري

### إلى أي الآفاق تمتد «جغرافية الفردوس»؟
### جعفر الجمري يمد الجسور نحو عالم
### يتناهى من خلال الأوصاف والصور

الدخول إلى عالم الشعر عند جعفر الجمري سهل ممتنع ذلك أنه يحاول أن يمد لك يد العون، وعندما يتمكن منك ويتأكد من وصولك إلى عالمه يدهشك ويثير في وجدانك مشاعل منيرة ويفتح مغاليق قلبك وعقلك عندما يقلك على سفينة شعره لتلج الحياة بقضها وقضيضها فإذا أنت في عالمه الذاتي ترى بعينه كل الذي يحسه وتحسه فتتوحد الأحاسيس دون استغراق لأن الملاح الذي يجوب السهوب والوديان يزرع شتلة قرنفل هنا، ويحرق شوكة هناك غير آبهٍ بالتزييف الذي يبرق أو الشهد الذي سحب منه كل غذاء وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الارتباط والتواصل بين الشاعر والمتلقي.

**ومراكبي انشطرت إلى نصفين في وادي الجحيم**
**غريبة عادات من رحلوا إلى فردوسهم**
**كي تأتي البلاد إلى أجمل تصورها**
**يخبئني سواي** (ص١٠)

والشاعر يدرك أن الطريق مفعم بالشوك وأن وجهه قد ضاع في الزحام لكن ذلك لا يمنعه من إعادة الكرة، والبدء من جديد لصياغة حياة يغلفها نور العشق وشمس المحبة بالرغم من كل المعاناة الذاتية، وكل ما شاهد ورأى وهو يرهص عن طريق استخدامه فعل الأمر وبعض

الألفاظ الموحية لإقناع القارئ بالثبات والمواجهة لكن ذلك لا ينسحب على كامل القصيدة ليشكل ميسمًا، وإنما يرتبط بتوترات النفس.

**ترحل دونما أرض تقيك من السقوط**
**فقمة الأشياء أولها انهيار**
**فعدت من حيث ابتدأت** (ص١١)

لقد تجلى خطابه الشعري مفعمًا بصدق التوجه ساعيًا إلى صياغة التلاحم المنشود بينه وبين المستقبل (بكسر الباء) كما أن اعتماد الشاعر على المشهدية الشعرية وإصراره على تراكبية الصورة يجعلك - من خلال إحساس مليح - مشدودًا إلى فهم ما يريد والإحاطة بكل خيوط الربط التي تشكل في النهاية وحدة فكرية تغفو على جسد القصيدة يتحقق هذا دون أن يحلق في خيال مثالي أشيب بل يقودك إلى حيث أنت وهو أول الشاهدين على الفجيعة التي وشمت كل فضاءات روحه بالواقع:

**من الذي ابتدأ الخروج على مجال**
**الوعي**
**فاكهة الجحيم أم الجحيم**
**أم القصيدة في مخيمها**
**أم النعي الذي شهد الفجيعة**
**أم فضاءات الموت** (ص١٣)

ثمة رغبة جامحة في أن يلملم الشاعر أشلاءه ليمخر عباب اليَمّ تاركًا في أرض ميلاده كل عذاباته، ولكن هيهات أن ينسى الشاعر الوطن. وكيف ينسى وقد رضع حليبه، وعشق في فلواته، ونمت نخلة حبه فيه، فهو دائم الاكتشاف لمساماته، ولن يضعف أمام من لعقوا دمه الدافىء أو يسمح لأي متسول تدنيس أرضه:

الشاعر يعتمد على الرموز والإشارات لتشكل غلالات شفيفة لا تحجب صدق توجهه ولا تجربته ومعاناته، وقد ارتبطت هذه الرموز

بخصوصية همه الذاتي في بداية القصيدة ثم أخذت الشكل المعمم دون أن يؤثر ذلك على اللحظة الشعرية والنبوءة الفنية التي يتمسك بها الشاعر بإدراك واع لاحتراقاته والأمل المرسوم على مراسم حياته، وهو لم يكن على هامش المعاناة بل كان فاعلا ومنفعلا فيها ولم يتقوقع في دائرة صغيرة من أرض وطنه، بل كانت عيونه تشرئب لكي تعايش أقصى حبة رمل توضعت فيه وحتى يبقى دائم الحيوية والعطاء.. من أجل ذلك جدد دمه ليواجه دون يأس فن الكر والفر أو الانكفاء على الذات.

**مورق ظلي إذا بيست بساتين**
**السفرجل**
**والملوحة لا تذيع بيانها في حضرة**
**الأطلال**
**محاصر في السر يا لغتي**
**فعلى في المدى أمتد**
**تتسكب البراءة في دمي** (ص١٥)

ويحاول الشاعر الجمري التواري خلف الأوصاف والصور لينشر من خلالهما ما يريده فتبدو ظلال المشهد واسعة يمكن أن تعطي تفسيرات متنوعة ومتعددة لكنها تصب في النهاية في بؤرة مركزية يقصدها الشاعر.. إن في صحراء نفسه عيون فجر وليد، وفي يباس روحه أغنية صدى الأمل، فهل تتحول الغيوم إلى أمطار؟ وتغيب أسواق الانهيار فيعيش رؤاه ويسارع في نسيان أمته الذي يمنحه المدى:

**جحيمنا كسر الهواء**
**وعدنا أسرى انهيار الصحو**
**لا الفردوس يمنحنا المدى**
**ظني بأنك هجرة في الانفلاق**
**وخيمة هي ما تبقى من وطن** (ص١٦)

في كل مقطع من القصيدة يفجؤك الشاعر بموقفه، ويمسك بيدك لتتلمس عروق الوطن.. آلامه وآماله ضمن مناخ شعري يمتلك طاقة التأثير التي يسيطر عليها ألق لون بلون الحب، والبحث اللائب عن صورة الوطن الباسم بعد معاناته القاسية فهو يرفض أن ينكفئ على ذاته، ويحجم رؤاه ليعيش فردوسًا مزيفًا وبذلك يأمن شر من خدشوا وجه المجرة وارتدوا إلى الأرض يختتون براعمها قبل أن تلد ويسعى إلى جديلة نور تكون نبراسًا له في انطلاقته.

ولم تكن منطلقات الشاعر مجردة أو مغلقة بل حملت دلالاتها الرحبة لتكون محرضة من أجل تفجير قدرات التخيل في النص فتتكاثف الألوان في اللوحة لتقرئ القارئ مفازاتها فتهاجر نفسه في سهوب الحنين ونسوغ الأرق وحركة النفس واختلاجات الروح ... إلخ.

من كل ما ذكره وغيره تتوحد الرؤية النفسية والحسية، ومن هذا التوحد تكون الانطلاقة نحو الهدف الأعلى (الأمة ـ الوطن ـ الأم ـ الحلم ـ الأمل ـ الحب ـ الصدق ـ الإخلاص):

**دعني أسمي البحر نخلا**
**دعني أسمي النخل ظلا**
**دعني أسمي الظل خيمتنا الوحيدة**
**دعني أرقع من مداي سفينتي** (ص١٨).

ويأتي استخدام أسلوب الاستفهام ليكرس إشارات تتوضع على مواجع النفس لتكون صدى الطموح وتكريسًا لمطالب ذرتها الريح ـ منذ زمن ـ في كل المناحي والاتجاهات هذا الطموح ليس مجانيًا، وليس مترفًا لأنه نابع من الأنا الصادقة التي تلهث للاندماج بهموم الـ (نحن)... وإذا لم يكن فلن تكون حياته إلا رمادًا ولن يكون مستقبله إلا جحيمًا.

**من لي إذا هطل الظلام**

من لي إذا نامت بنفسجة البشارة
لا تضيء سوى الفجاءة
لا يضيء سوى الهزيع المر
خيمتنا قلاوة (ص١٩)

لا بد من البحث عن منقذ يقيه يأسه بعد أن صار غناؤه سرّا، وجحيم مأساته ينعي عليه تنفسه الرتيب فيعض على نواجذه لكي يتخلص من سباته، ويستيقظ ليرى غير لون البحر، وتحليق النوارس الضائعة والبجع الخرافي فينظر في مرآة نفسه مرة أخرى طالما وعى ذاته ليصل إلى الحقيقة المرة:

وأدق مسمار الخليقة في جدار
الكائنات
تصببت عرقا رؤاي
هنا اكتشفت من المرايا
مهرة غجرية (ص٢١)

بعد هذا الاكتشاف ينطلق على صهوة حصانه مؤمنًا بقدرته على تحقيق ما يريد فقد آن أن يشتعل بوطنه فيضيء، وأن يمزق سر الخطيئة واللامبالاة التي تدلت فقزمت العروق، وتخششت في القلوب.

متى تضيء لكي أرى فيك
الذي حجب العدو من القضاء ووجه
أمي؟ (ص٢٢)

لقد سدد العدو سهامه الحارقة نحو الوطن ـ الأمة فضرج البراءة بالدم ولم يعد أمامه سبيل إلا أن يستنفر شجر السنديان، وعروق النعناع، وكل خيول الأصالة للوقوف في وجه من حاصروه، لأن سر البحر لا يعرف مفاتيحه إلا أبناؤه، ولأن طعم الحنين لا يلتذ به إلا من تغرب عن أرض ميلاده..

في شعر الجمري ترسيخ لوعي معين تشدك إليه اللفظة بإيقاعاتها المتناغمة وتلونها ويقنعك المعنى بحقيقته عبر الحسي والمعنوي، والتداخل بين ذات الشاعر والذات الإنسانية فيستلهم المتلقي لحظة الإبداع على مساحة النفس لقد أكد الشاعر أن لا مناص من اتخاذ موقف حازم تجاه من لوثوا سماءه وبحره لأن الارتباط بحب وطنه أبدي وما دام المرء لا يستطيع الخروج من جلده فهو - أيضًا - غير قادر على التراجع.. وهذا ما يدفعه إلى مزيد من الحب.

**هيا امنحيني قبلة**
**أو شئت فالغيني من الأعماق**
**لست مشاغبًا أبدًا كما قالت**
**رواية ذلك الأمي**
**لست مهاجرًا مني**
**ابتدأت من الشفاه** (ص٣٣)

إن تكرار الظروف له مهمته الوظيفية في تحقيق أجواء الحالة الشعورية ووضعها في زمانها اللائق الذي يختزل مسافات وعي الموقف بدقة.. آن أن تتبلج السماء عن قوس قزح يلون حياته رؤى وشلال عبير ليعيد سيرة حياته الرحبة على مداها الرحب، ويرتق مآسي الأمس بعد أن خضب العدو عروقها بالسموم.

**والآن يتضح المدى**
**قمرًا تخضب بالأسى**
**حينًا ويغمره الندى**
**حينا ويرتشف ما يشاء من**
**الرصاص..**
**من أجل أن يهب الخلاص** (ص٣٤)

وتتكشف في المقطع الأخير من القصيدة حزمة من الانفعالات

وتتعانق لتتركز في بؤرة الهدف، وجوهر المغزى من خلال تدفق سريع يواري خلفه انبعاثات انفعالية تحرك الفكر والمشاعر معًا فمواسم النواح يجهلها، وفراديس الزيف يبهت شكلها، وسيبقي عنيدًا في موقفه لا يبغي سوى الحب الذي يمنحه البرد، ودورة البدء لانطلاقة جديدة، ودخول جديد في نبض الوطن الحبيب.

لقد حملت القصيدة على عاتقها عواطف الشاعر وانفعالاته المتأججة التي أثرت - أحيانًا - على إيقاعات بعض المقاطع جوانيًا وبرانيًا.. هذا وثمة وضوح لشخصية الجمري لا يستطيع القارئ إلا أن يتلمسه في كل مقاطع القصيدة، وهذا يدل على امتلاك أدواته الشعرية، ويدعوك إلى الإبحار في أجواء القصيدة.. ومعايشتها بإحساس القناعة والإعجاب..

## رهف المبارك

# «إطلالة»
# أنموذج للشعر الإماراتي المتألق

من خلال متابعتي للحركة الشعرية في الإمارات وجدت أن الشعر التقليدي يسير إلى جانب الشعر الحديث (التفعيلة ـ النثر) وكذلك الشعر البنطي ووجدت أيضًا أن من يحاول التميز في قرض الشعر الذي كتب فيه شعراؤنا العمالقة (المتنبي .. أبو فراس الحمداني.. بشار.. الأخطل.. جرير... إلخ) قلة، ولعلّ ذلك بسبب الوقوع في الابتذال أو التكرار أو بسبب الاهتمام بالخطابية والمباشرة الفجة.. وغير ذلك من أسباب تضعف هذا الشعر.

إن فخرنا الكبير بشعرنا العربي يجعلنا ندعو إلى الحرص على أمرين: الأول: محاكاة الشعراء الكبار، والثاني: التميز والتفرد.

وما أراه أن الشاعرة رهف المبارك في مجموعتها التي صدرت حديثًا بعنوان (إطلالة)[1] من الفريق الذي انتبه إلى ضرورة الحرص على الأمرين الآنفي الذكر.

تتألف المجموعة من اثنتين وعشرين قصيدة موزعة في موضوعاتها بين الإنسانية والذاتية والوطنية والقومية.

ففي قصيدة (حين يصمت المساء) نلحظ مناجاة ذاتية تعبر من خلالها الشاعرة عن المعاناة من الظلمة، وما تشيعه من خوف إذ تبدأ بالإعلان عن النقاء الذي يسكن المحاجر، ثم تلج في مفاصل القصيدة

(١) مجموعة شعرية بعنوان (إطلالة) صدرت في شهر مايو ٢٠٠٢م تأليف رهف المبارك وتقع في ثمان وستين صفحة من القطع المربع بغلاف معبر وإخراج متميز.

لتتخذ موقفًا من السكون والمساء، وتستعين بأختها لتؤكد موقفها من الحياة وميلها إلى حب الناس واعتماد دروب السعادة اتجاهًا طالما أن النور أضاء القلب والأوراد:

على ظمأٍ وردّنا الصبرَ حتى ... ليغبطنا على الصبرِ البلاءُ
فإنْ شئتَ الردى للروحِ يومًا ... أبينا أن نصيرَ لما تشاءُ
وهل يخبو سنا قلبٍ نديٍّ ... له من كلِّ بارقةٍ ضياءُ

وفي قصيدة (جرح في فؤادي) بوح صادق تعبر فيه عن حب كبير للوطن، وتمزج بين الذاتي والعام بأسلوب فني ماتع:

كنتَ النصيرَ لطفلة موهوبةٍ بخطاك ترقى
شجعتها وجهتها فتطلعتْ للمجدِ توقا

وتتوجه إلى الأدب الاجتماعي من خلال قصيدة (ذابلة المآقي) لتبين ضرورة البعد عن (الأنا) وأهمية التسامح والحب والوفاء في كسب الصديقات:

ألبنى هل بقي في العين باقي ... علامَ تسحُّ غاليتي المآقي
أخطبٌ قد ألمَّ ولستُ أدري ... أهمٌّ لا يكفُّ عن اللحاقِ
فإنْ كانت دواءٍ قد توالتْ ... على دنياكِ تقبلُ في استباقِ

وتحلق الشاعرة في قصيدة (أمي) فيظهر البوح بألوان قوس قزح ويزركش الصدق جدائل الحب الذي وصل إلى درجة قدسية رفيعة:

أمي سيدتي غاليتي ... ما أروعَ ترنيم نِداك
يا بسمة فجرٍ أرقبُها ... في عمرٍ يزهرُ بشذاكِ
يا سدرةَ حلمٍ أعشقُها ... إني غرِّيدٌ أهواكِ

وفي قصيدة (جلفار عشق الخليج) تمزج بين أملها الخاص وأمل جلفار.. فإذا جلفار امرأة عابقة بالحيوية والجمال والعطاء، وإذا الشاعرة تسفح في محراب عشقها أنواعًا لا تعد ولا تحصى من التضحيات، ولم لا وهي موئل الذكريات؟ وأرض الأجداد الذين رسموا

تاريخها بعرفهم المتفصد من جباههم صباح مساء:

**جلفارُ يا عشقَ الخليج**
**تضوَّعي بالحبِّ إن الحبَّ قوتي**
**وقوتُ أشعاري الأريج**

وتختار المعلم في قصيدة (بقايا أمنيات) ليرشدها إلى حل مناسب بعد أن قلب لها الدهر ظهر المجن، وأوصدت الأبواب في وجهها، وتبعثر الضباب في عروقها، ولهذا لا بد من الإمساك بأهداب الحلم؛ لأن المجد ينتظر متراقصًا على أهداب الشباب:

**هيَ أمنياتٌ في الفؤادِ يحفُّها أملُ الشبابْ**
**تزهو إذا برقَ المنى.. تخبو إذا جثمَ اكتئابْ**
**للّهِ تلك الأمنياتُ وقد غدتْ أختَ السّرابْ**

من النماذج السابقة نلحظ أن الشاعرة تمتلك طاقات مخزونة جعلت شعرها ينطلق بانسيابية واضحة دون تكلف أو ابتذال، فهي تحترم طقوس كتابة الشعر، وتحرص أشد الحرص على تجويد قصيدتها فتنهض بالتفاصيل المهمة وتهمل الحشو تاركة للقارئ تصور ما يجب أن يتصوره، كما تركز الشاعرة على زاوية الرؤية حتى لا تقع في التناقض، أو يتعرض معنى قصيدتها للارتجاج، لأنها واثقة من ضرورة التحليق لاقتناص البؤر المركزية التي تشكل ما يسمى بسحر القصيدة من ذلك اعتماد الحوار الشعري وتلوين الجمل (خبرية وإنشائية) وخلق شخصية للحوار، وانتقاء الألفاظ الملائمة، واحترام القارئ... إلخ ولا ريب بأن الإشارات الثقافية التي تناثرت في جسد بعض القصائد رفعت من مستوى الشعر ودفعته إلى الارتقاء. هذا وإن امتلاكها لناصية الشعر عمق فنيات الإبداع لديها ومنحها طاقة فاعلة وخيالا خصبًا ضافيًا مجنحًا.

والذي يؤكد ذلك إيمان الشاعرة رهف المبارك بأن القصيدة الجيدة

تفرض نفسها ولاعلاقة بالشكل في الإقناع؛ لأنه لا يمكن الفصل بين الشكل والمضمون.. هذا الإيمان بدا من خلال تنويع القصائد في المجموعة فجاءت على أوزان الخليل بن أحمد الفراهيدي تارة وعلى أسلوب شعرالتفعيلة تارة أخرى.

والشاعرة لا تجر أوراقها باتجاه الريح؛ لأنها واثقة من المستقبل فهي في حالة تأهب وانتظار، وهي تصر على البقاء في فسحات الطهر والنقاء، وهذا ما دعاها إلى ربط قصائد المجموعة بهاجس مصيري ينفر في أوارها، فهناك رابط ما بين حب الأم وحب العلم، والمعلم وحب الوطن، وكره الوداع والرحيل ... إلخ..

إنها علاقة تستند إلى معطيات راسخة، ورابطة آمنت بها الشاعرة، وسعت إلى تسريبها في ثنايا شعرها، لا لتركمها دون توظيف، وإنما لترسخ قيمتها بالبرهان والمعنى.

ولئن كانت تجربة الشاعرة قد تفجرت أكمامها من خلال الأمل والألم والوفاء، فإن هذه الأقانيم الثلاثة تحكم موضوعات القصائد كلها.. إنه احتفال إنساني صادق عكس إحساس الشاعرة المرهف تجاه كنه الحياة وأسرار الكون وبواعث القضاء والقدر، ولهذا تعمل في قصيدتها على فتح بؤر للسؤال العريض (لماذا؟ وكيف؟) لكنها سرعان ما تسوّر هذه البؤر بيقين قائم أو أمل واعد ورضى بما قسم لها..

وهي لا تعاين ثآليل الحياة من منظور التباكي والكدر، ولكن من منظور الواثق بزوالها وانهزامها أمام دروب النور التي تخترق الظلمة دائمًا.

إن القارئ لديوان الشاعرة رهف المبارك (إطلالة) يشعر بأن لكل قراءة طعمًا جديدًا بسبب الاكتشافات المتكررة في المعاني والدلالات، ولعل عاطفة الشاعرة الصادقة أضفت عنصر التشويق والإثارة، فهي أشبه بنوّاس يصر على ديناميكية الحركة في اتجاهات شتى دعمًا

لالتقاط أسئلة الحياة واحتفاء بهذا الجنس الأدبي الآسر وانتصارًا للإبداع.

ابني.. نعم ابني الذي علّمته القدسُ أرضكَ يا بنيَّ وأرضيَه
القدسُ أمك واجبٌ بك برُّها إن شئتَ أن يرضى عليك فؤاديَه
المسجدُ الأقصى يراقبُ في غدٍ أحلامكَ القصوى لقمع أعاديَه

في هذه المجموعة خيال مبتكر وفصاحة وجزالة واضحة، وأفكار شامخة.. وفيها تأمل في المصير الإنساني وتجربة عميقة في الحياة، واسترسال في تلافيف الروح اللائبة، وصدق في التوجه، ودفء في التعبير، وإذا كان لنا طلب من الشاعرة، فهو دعوتها إلى مزيد من العمق والإيغال في مشكلات الحياة المعاصرة والتعبير عنها:

إني يبعثرني الفراق حقيقة سَجّيتها بدثائرِ الكتمانِ
يا ليت لي نفسًا بدون مشاعرٍ يا ليتني صخرٌ بلا وجدانِ

أقول: إن بعض الشعراء يصدرون مجموعات عدة دون أن يحققوا درجة مهمة بين الشعراء المبدعين والشاعرة رهف المبارك ومن خلال مجموعتها الأولى (إطلالة) ستجد - في رأيي - مكانتها بين شعراء وشاعرات الإمارات، ولهذا فإنني أدعوها إلى مزيد من التجويد لتحقق أمنياتها في التميز وإن غدًا لناظره قريب.

# من شعر أمين الجندي

بين أيدينا كتاب بعنوان «من شعر أمين الجندي» صدر عن وزارة الثقافة بدمشق، وقد اختار النصوص وقدم لها بدراسة مستفيضة الباحث والكاتب المسرحي عبدالفتاح رواس قلعة جي.. يقع الكتاب في أربعمائة وأربع وخمسين صفحة من القطع المتوسط.. ينقسم الكتاب إلى قسمين : الأول خصصه المؤلف للدراسة والثاني لشعر الجندي.

ـ القسم الأول «الدراسة»:

يبدأ الدارس الحديث عن مناخات العمل الأدبي مفتتحًا بالمناخ الثقافي في أواخر القرن الثامن عشر وما حمله من نور وحياة دافئة بسبب ظهور المطابع ونشاط حركة الاستشراق ولمعان أسماء أدباء أمثال: الشاعر أحمد البيروني والشاعر الشيخ عمر اليافي، والشاعر عبدالله الحلبي.. وغير هؤلاء كثير... في هذا المناخ عاش الشاعر أمين الجندي في واسطة عقد محافظات سورية حمص... ونظرًا لأن هذه المدينة كانت عامرة بالآداب والفن ـ في تلك الأيام - فقد ظهرت كتابات وأشعار الجندي... ويؤكد الدارس بأن مصر عرفت شعر أمين الجندي حين زارها مرافقًا إبراهيم باشا. وقد حقق شعره انتشارًا أوسع حين حمل أبو خليل القباني موشحاته إليها وغنتها فرقته.

ثم ينتقل عبدالفتاح قلعة جي إلى المناخ السياسي فيقدم صورة دقيقة عن الجو السياسي المشحون بالتوتر آنذاك بسبب الحركات الاستقلالية والغزو الخارجي، ويظهر العلاقة بين السياسة والأدب من خلال مواقف الجندي الذي تفاعل مع الأحداث فحين أحكم إبراهيم باشا سيطرته على الشام وجنوبي آسيا الصغرى يفرح الشاعر وينظم قصيدة يقول فيها:

**نحن الأسود الكاسرة**

**نحن السيوف الباترة**

**من أرض مصر القاهرة**

**سرنا وقد نلنا المنى**

وفي المناخ الاجتماعي يتحدث الباحث قلعة جي عن الكتاتيب التي كانت تعلم القرآن الكريم والمدارس التي فتحت في عهد إبراهيم باشا، ويربط التعليم بالخاصة ويشير إلى انعدام الحالة الصحية وانعدام الأمن، واندلاع الفتن والثورات، والفقر المدقع الذي كان سائداً بسبب تردي الحالة الاقتصادية، ويخلص إلى تأثير هذه المناخات في شعر الجندي، لأن شعره الديني تصوير للحياة الدينية، والسياسي المديحي إشارات إلى أحداث سياسية، والغزلي انعكاس للأذواق والقيم الجمالية لدى الناس، والغنائي تصوير للحياة الاجتماعية.. ثم ينتقل إلى حياة الشاعر الجندي فيتحدث عن أسرته وعراقتها ويبرز صلاتها بباقي الأسر ويفصل اسمه ونسبه وولادته في حمص عام ١١٨٠ هجرية ١٧٦٦ ميلادية وتعليمه على يد الشاعر عمر اليافي الذي استضافه في مسجد الصحابي خالد بن الوليد وفيه أعطاه العهد وقال له: «اذهب فأنت أشعر أهل الفرام».

عمت شهرة الجندي الشام، وأصبحت أشعاره على كل لسان وتنشد قدوده وموشحاته في السهرات الفنية.. وعندما يصاب بالفالج يكتب قصيدة توسلية مطلعها:

**توسلت بالمختار أرجى الوسائل**

**نبي لمثلي خير كاف وكافل**

لقد اصطحب إبراهيم باشا الشاعر أمين الجندي إلى مصر لمقابلة والده محمد علي وفي مصر يقول إبراهيم لوالده: «لقد أتيت لك بأعز هدية من البلاد الشامية» وليس غريبًا ما قاله إبراهيم لوالده وموشحات

الجندي غزت الآفاق:

**هيمتني تيمتني**

**عن سواها أشغلتني**

لكن المنية التي اخترقت جسده عام ١٨٤٠ ـ ١٨٤١م جعلت أهل الأدب والفن يرثونه بقصائد تعتبر من عيون الشعر العربي في الرثاء. يقول الشاعر زكريا الملوحي في رثائه:

**عيون الدهر تهطل كالسحاب**

**لفقد العارف الحبر المهاب**

**على الشعراء أمين كان شمسًا**

**فكيف الشمس تغرب في التراب**

لقد أجمع المؤرخون على شاعريته في القرن الثامن عشر واستمرت حتى منتصف القرن التاسع عشر وديوانه الشعري الذي صدر عام ١٨٧٠م وعام ١٨٨١م وعام ١٩٠٣ خير دليل على غزارة إنتاجه وقيمته:

«ولكننا عندما نقرأ ديوان شاعر شامي مخضرم أقدم من البارودي هو أمين الجندي... الذي يتميز أسلوبه بالرقة والطلاوة والعذوبة».

ويشير إلى أنه ليس من العدل محاكمة شعر الجندي بقيم الشعر والنقد المعاصرة إذ لا بد أن يضع الناقد الأدبي أقدامه في وسط البيئة وقلب العصر الذي ينتسب إليه النتاج ويعيش مناخاته.

ثم ينتقل إلى الحديث عن العوامل التي ساهمت في تكوين شخصيته الفريدة والتي تتلخص بالعامل الثقافي والبيئي والسياسي والاجتماعي ويتوقف طويلا عند شعره السياسي ويبرز موقفه من الفتن والفساد والظلم والاستعمار كما يقسم شعره الديني إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ شعر التوسل.

٢ ـ شعر التقرب.

٣ ـ شعر التصوف.

أما عن شعره الوجداني فيتوقف عند شعر الألم الذي لا يخرج عن القيم والبنى التقليدية للقصيدة الرثائية... يقول في رثاء محمد الأزهري الكيلاني:

**فيا بحر فضل كيف وارتك حفرة**

**وجدواك عم الخافقين ركامها**

وفي شعر الغزل ثلاثة جوانب: الرمزي الصوفي والحسي المثلي، والحسي بالمرأة:

**إذا أنت لم تعشق حبيبًا ولم تذق**

**حلاوة وصل أو مرارة هجران**

**فما أنت إلا صورة لم يكن بها**

**إذا اختبرت معنى ولست بإنسان**

ثم يتحدث عن شعره في التخميس والتشطير، ويفرد بابًا خاصًا لشعر الموشحات والقدود، والمواليا، ويقف وقفة متأنية عند نشأة الشعر الغنائية.

* وماذا عن لغتك الشعرية والمبنى والمعنى على ضوء ما تبدع؟
* اللغة هي أساس بناء القصيدة الفني والمعنوي إن اللغة في الشعر ليست وظيفة أو أداة للتعبير ومن يفهم اللغة كذلك إنما يسيء إلى اللغة أيما إساءة... اللغة في الشعر تكفل لنا العبور من الخواء إلى الملاء... وربما كانت اللغة أزخم حضورًا في الشعر بنظامها ودلالاتها وإيقاعها، ولذلك يتعذر علينا أن نفسر كونية الشعر وعلو مقامه على الفنون جملة بغير مقولة:

**اللغة دون الانطلاق من أمسية الصوت واتخاذه ينبوعًا بؤرويًا للعقل.**

* أي الأسماء الشعرية تحضرك الآن ولم؟
* نزار قباني لأنني اتممت بأشعاره دون قصد، وكأنها قادمة من منطقة اللاشعور واللاوعي وكأنه صوتنا الداخلي المنغم شعرًا

**سرقوا أصابعنا وعطر حروفنا**

**فبأي شيء يكتب الكتاب؟**

**أنا يا صديقة متعب بعروبتي**

**فهل العروبة لعنة وعقاب؟!**

عبدالباسط الصوفي لأنني أشفق لحاله وأحبه ليس لمأساة انتحاره، ولكن لأنه صدقها وردد معها:

**كلا وأجفل صوتها الرعديد في الشفتين كلا**

**من أنت؟**

**هذا الشارد الهيمان يطوي العمر ظلا**

**كلا وأعماقي تصيح كصوتها الرعديد كلا**

ممدوح السكاف شقيق رحلة الروح، لأنه شاعر حياتي.. فنان يرسم بالكلمات:

**أنا الثلج أضحى لهيبًا فتيًا**

**على صهوتيك وأضحى جحيم**

**حنانيك**

**رفقًا بحزني**

**أكاد أحشر من فرحتي بالنعيم**

محمد وليد المصري شقيق الصبا والشباب ورحلة الوجود يتفجر الشعر من روحه فتحس فيه نكهة الريف التي أحبها ونبوءة الإنسان المسكون بالوطن.

* نقاد الشعر الحديث قلة.. هل تدير ظهرك للنقد أم ماذا؟
* أقرأ النقد الشعري الجاد الواعي.. واذكر في هذا المنحى الناقدين حنا عبود ودريد يحيى الخواجة.